

الاستراتيجيات الحجاجية البلاغية في تفسير (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي: موازنة حجاجية بين سلطة النقل ونجاعة القياس

د. أثير كريم سهو الحسنواوي

أ.م.د. عبد الرؤوف بن حسن

جامعة المستقبل / كلية التربية

جامعة بوترا ماليزيا / كلية اللغات الحديثة والاتصال / ماليزيا

Rhetorical Argumentative Strategies in Abu Hayyan al-Andalusi's Interpretation (Al-Bahr al-Muhit): An Argumentative Balance between the Authority of Transmission and the Efficacy of Analogy

Asst. Prof. Dr. Abdul Rauf bin Hassan

University Putra Malaysia (UPM)\ Faculty of Modern Languages and Communication

raufh@upm.edu.my

Dr. Ather Kareem Salho Al-Hasnawi

Al-Mustaqbal University\ College of Education\ Iraq

ather.kareem.salho@uomus.edu.iq

Abstract:

This research investigates the rhetorical argumentative system in Al-Bahr al-Muhit, exploring the mechanisms of transition from "informing" to "obligating." The study posits that Abu Hayyan managed his interpretive battle through two primary inferential paths: a sovereign textual path that relies on mobilizing "Aural Transmission" (Sama') to enforce adherence, and a rational demonstrative path that utilizes analogy and regularity (Ittirad) to regulate linguistic probability. Through a pragmatic approach to discourse contexts, the research reveals how rhetorical tools were transformed into a "dual-powered argumentative apparatus," merging textual transmission as a binding necessity with reason as a tool for regulating linguistic consistency. Consequently, the interpretation is rendered a pragmatic event aimed at achieving methodological hegemony and undermining the opponents' "Ethos".

Keywords: Argumentation, rhetoric, strategy, context, discourse, transmission, reason, obligation, persuasion .

المخلص:

يستقصي هذا البحث المنظومة الحجاجية البلاغية في (البحر المحيط)، مستكشفاً آليات الانتقال من "الإخبار" إلى "الإلزام"، يفترض البحث أنّ أبا حيان أدار استراتيجيته الحجاجية التفسيرية عبر مسارين استدلاليين: نقلي سيادي يعتمد حشد السّماع لفرض الإذعان، وعقلي برهاني يستثمر القياس والاطراد لتقنين الاحتمال، ويسعى البحث إلى الإجابة عن السؤال: كيف استطاع أبو حيان تحويل المؤشرات السياقية من قرائن احتمالية إلى أدوات قطعية لحسم الخلاف؟، ومن خلال مقارنة تداولية لسياقات الخطاب، يكشف البحث كيف تحولت الأدوات البلاغية إلى "جهاز حجاجي" مزدوج القوة، يزوج بين النقل كضرورة ملزمة والعقل كأداة لضبط التناسب اللغوي، مما جعل التفسير حدثاً تداولياً يهدف إلى الهيمنة المنهجية وإسقاط "إيتوس" الخصوم.

الكلمات المفتاحية: حجاج، بلاغة، استراتيجية، سياق، تداول، نقل، عقل، إلزام، إقناع.

مشكلة البحث: تتمحور المشكلة في الكشف عن النظام البرهاني الذي شيده أبو حيان، حيث لا تقف البلاغة عنده عند حدود التوصيف الجمالي، بل تتحول إلى ((سلطة حجاجية))، وتكمن الإشكالية في:

١. كيف استطاع أبو حيان تحويل المؤشرات السياقية من قرائن احتمالية إلى أدوات قطعية لحسم الخلاف؟
٢. ما هي الكيفية التي تم بها صهر الحشد النقلي (سلطة السماع) مع الاطراد العقلي (القياس) لإنتاج خطاب تفسيري مُفجِع يغلق منافذ الاعتراض أمام الخصوم (خاصة الزمخشري)؟

منهج البحث: تتأسس منهجية البحث على المقاربة التداولية الحجاجية، وهي منهجية لا تقف عند الوصف الجمالي للبلاغة، بل تدرسها بوصفها "قوة إنجازية" تهدف إلى الإقناع، وتسعى للكشف عن "إستراتيجيات الهيمنة" في الخطاب التفسيري، وكيفية صناعة اليقين العلمي عبر المزوجة بين سلطة النص (النقل) ونجاعة العقل (القياس).
توطئة:

تتأسس الاستراتيجيات الحجاجية البلاغية على وعي دقيق بالسياق المحيط بالوحدات اللغوية، إذ لا تنفصل أيّ بنية خطابية عن إطارها السياقي، سواء أكان سياقاً لغوياً داخلياً ناتجاً عن تألف العناصر اللفظية، أم سياقاً مقامياً خارجياً يتصل بظروف التخاطب ومقاماته.

ويُعدّ السياق عنصراً محورياً في بناء الاستراتيجيات الحجاجية البلاغية، إذ يمثل البؤرة التي تتقاطع عندها مختلف المكونات الحجاجية، ذلك أنّ الحجاج في جوهره إجراء سياقي خالص، يتأثر بالعوامل اللفظية من جهة، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأشراط الاجتماعية والعقدية والرمزية من جهة أخرى^(١)، ومن ثمّ فهو ليس مكوناً مستقلاً عن سياقاته ((الاجتماعية، والمؤسسية، والقولية، والتداولية))^(٢)، بل هو ممارسة تواصلية وفعالية تداولية؛ وينبني الطابع الحجاجي للخطاب، في هذا المنظور، على خلفية فكرية مقامية ذات بعد اجتماعي، تتأزر فيها ثلاثة مكونات كبرى تُشكّل مجتمعة البنية العميقة للاستراتيجية الحجاجية البلاغية، وهي: المكون اللغوي بما يحمله من صيغ وأساليب توجيهية، والمكون السياقي/الثقافي الذي يضبط شروط التأويل والإقناع، والمكون المنطقي الذي يؤمّن ترابط الحجج وانسجامها^(٣).

لذا يبدو أنّ فهم النصّ وشرح بنيته الحجاجية يقتضي أولاً الوقوف على مكانته التداولية وعلاقته بمقام القول أو ما يُعرف بالسياق^(٤)؛ لأنّه الموجّه لمسارات القول الحجاجي والمكون لاستراتيجياته، فالمحاجج عندما يقدم حجة ما، فهو يستند بذلك إلى سياق معين وقصد معين، والمتكلم لا يبني كلامه بمعزل عن العالم الخارجي أو عن المخاطب، بل على ضوء الفرضيات التي بناها مسبقاً عن المخاطب، وشخصيته الثقافية والاجتماعية وقدراته الفكرية^(٥)، وحسن إمكان استغلال هذه الإمكانيات السياقية، يمنح المسار الحجاجي ((قوة ذات تأثير دامغ))^(٦)، ودراسة الحجج مستقلة عن الخطاب الحجاجي، مقطّعة من سياقها العام، مغامرة لها خطورتها، قد لا نستطيع الوقوف على تعددها وتنوعها فضلاً عن فحص كيفيات بناء الحجة الواحدة وتشكلها في الخطاب^(٧)، إنّ العبارة الواحدة ((قد تكون حجة أو نتيجة أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق))^(٨).

يحتلّ السياق منزلةً مركزية في تفسير النصوص القرآنية عامة، وفي تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي على وجه الخصوص؛ إذ إنّ تحليل الآيات القرآنية لا ينفصل عن ردها إلى سياقها التداولي العام، المتمثّل في الثقافة العربية الإسلامية بما تحمله من منظومات عقديّة، ومعرفية، ولسانية مشتركة^(٩)، ويُعدّ هذا السياق الإطار الذي تُبنى في ضوئه الاستراتيجيات الحجاجية البلاغية، وتوجّه من خلاله مسارات الإقناع والتأثير. كما أنّ الإحاطة العميقة لأبي حيان بأفكار المخاطبين وثقافتهم، وما يُسلمون به ويعتقدونه ويؤمنون بصحته، مكّنته من انتقاء الحجج الأكثر قابلية للقبول والأشدّ تأثيراً، وتوظيفها توظيفاً استراتيجياً ينسجم مع مقتضيات المقام وسلم القيم السائد لدى المتلقّي. وبناءً على ذلك، تتجلى الممارسة الحجاجية في البحر المحيط بوصفها فعلاً بلاغياً سياقياً واعياً، يقوم على استثمار المعطيات التداولية والثقافية في بناء الحجّة والتوجيه، ومن هذه الاستراتيجيات: استراتيجية الاحتكام إلى السلطة المرجعية:

١. استراتيجية الاحتكام إلى السلطة المعرفية النقلية

تُعدّ استراتيجية الاحتكام إلى السلطة المعرفية النقلية من أبرز الاستراتيجيات الحجاجية البلاغية في الخطابات العلمية والتفسيرية، إذ تقوم على توظيف الاستدلال بوصفه آلية مركزية في إنتاج الخطاب وتبليغه، فبناء المعرفة العلمية لا ينفكّ عن الحجاج، ولا يستقيم من دون جهاز استدلال يُحصّن القضايا المطروحة ويمنحها المشروعية والقبول^(١٠)، ومن ثمّ يغدو مقام التذليل وبناء الحجّة من أهمّ المقامات في المنظومات العلمية؛ لأنّ العالم يسعى، من خلاله، إلى ترسيخ بنائه النظري بالاحتكام إلى مرجعيات معرفية مُسلم بها، تحتلّ فيها الحجّة موقعاً محورياً في توجيه الفهم وإقناع المتلقّي^(١١)، وتنطلق هذه الاستراتيجية من كون الاستدلال منهجاً في النظر، وطريقة في التفكير، يتأسس على شبكة مركّبة من العلامات الخطابية التي تُنشئ القول الحجاجي وتُسانده، عبر البحث عن أدلّة تُثبت القضية أو تنفيها بالاستناد إلى مصادر موثوقة ذات سلطة معرفية سابقة^(١٢)، ويتجلى هذا الاحتكام في أشكال متعدّدة من الاستدلال، منها ما هو نقليّ يقوم على النصوص الموروثة والسلطات العلمية المعترف بها، ومنها ما يُسانده استدلال عقلي أو منطقي أو عرفي، غير أنّ مركز الثقل في هذه الاستراتيجية يظلّ قائماً على المرجع النقلي بوصفه حجّة مُلزّمة ذات قبول جمعي^(١٣).

وموضوع الدليل أو الاستدلال همّ أغلب علماء المسلمين من نحويين، وبلاغيين، وأصوليين ومتكلمين، وغيرهم؛ لأنّه من القواعد الحجاجية، التي توظّف فيه الحجج من أجل الوصول إلى مطلوب المستدل، أو إثبات أطروحته أو تنفيذ أطروحة المخالف^(١٤)، وقد تكون هذه الاستدلالات نقلية يمثّلها القرآن الكريم وقراءاته، والحديث النبوي، وكلام العرب شعره ونثره، أو عقلية يمثّلها القياس المنطقي والفرضيات الذهنية، والاجماع وغيرها، وتهدف إلى إقامة الحجّة لإثبات قضية أو دعوى^(١٥)، إنّ المعجم الاصطلاحي الذي يتضمنه المتن التفسيري عامة ومنه البحر المحيط، يمثل في مجمله مواطن للحجاج الرمزي، بكل ما لهذه الحجّة من دور إقناعي وعلمي وتعليمي أيضاً^(١٦).

وقد ضُمَّت الاستراتيجيات الحجاجية البلاغية في البحر المحيط، استراتيجية النقل الذي يعد من الأدلة الأساس التي يُستدلُّ بها في الدرس اللغوي، بل يُقدَّم على سائر الأدلة؛ لما يحمله من سلطة معرفية سابقة تُكسبه قوة حجاجية عالية^(١٧)، وتبني الاستراتيجية النقلية، في هذا السياق، على توظيف الحجة النقلية بوصفها أداة إقناع فاعلة، لا تقتصر وظيفتها على نقل المعنى أو إثبات الحقيقة، بل تتجاوز ذلك إلى دفع المخاطب نحو تبني موقف معين أو الإذعان لحكم لغوي أو تفسيري محدد. فطاقتها الحجاجية لا تستمد مشروعيتها من مضمونها فحسب، وإنما من كونها حجة مُجرَّبة ومُعترفًا بها سلفًا داخل الجماعة العلمية^(١٨)، وتتجلى استراتيجية الاستدلال بالنقل في السَّماع الصحيح عن العرب، وهو ما يُعرف بـ((الأدلة أو الحجج والشواهد الجاهزة))، التي تُستثمر ضمن خطاب إقناعي مُرتَّب ترتيبًا حجاجيًا دقيقًا، بحسب درجات القوة والنجاعة في التأثير، ويأتي في رأس هذا الترتيب القرآن الكريم وقراءته، ثم الحديث النبوي الشريف، ثم كلام العرب شعرًا ونثرًا، في تسلسل حجاجي يعكس سلمًا للقيم المعرفية والسلطوية في الثقافة العربية الإسلامية، ويُعدُّ هذا التدرج من أبرز مظاهر الاحتكام إلى السلطة المعرفية النقلية؛ إذ يُنظَّم الدليل وفق مرجعيته ومدى إلزامه للمخاطب^(١٩)، وقد حظيت هذه الأدلة بمكانة رفيعة لدى جمهور النحويين واللغويين، بسبب مرجعيتها الراسخة، فاحتجَّوا بها -في الغالب- بوصفها حجة فاصلة تتصدَّر السَّم الحجاجي، وتمثِّل المصدر الأول للحجاج في النحو واللغة، والمعول الأساس عليه في إثبات الأحكام وتقييد القواعد، وبذلك، يغدو الاحتكام إلى النقل استراتيجية حجاجية بلاغية مركزية، تُؤسِّس الخطاب اللغوي والتفسيري على مرجعيات مقبولة جماعيًا، وتُعزِّز فاعليته الإقناعية داخل السياق التداولي^(٢٠)، ومن استراتيجيات النقل في البحر المحيط:

١. استراتيجية الإلزام بالمرجعية السمعية:

اسماه الأنباري (ت ٥٧٧هـ) النقل وعرفه بقوله: ((هو الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن حدِّ القلة إلى حدِّ الكثرة))^(٢١)، وعرفه السيوطي (ت ٩١١هـ) فقال: ((ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمَل كلام الله تعالى، وهو القرآن، وكلام نبيه (ص)، وكلام العرب قبل البعثة وفي زمانه وبعده))^(٢٢).

ويُعدُّ السَّماع من أهم الأصول التي قامت عليه استدلالات أبي حيان الحجاجية، فهو الحجة الأساس عنده، يأخذ به، ويعتمده في إثبات إطروحته أو رفض أطروحة المعارض أو المخالف، وقد أعلن عن ذلك صراحة في قوله: ((فلا تُثبت الأحكام بالقياس إنما نثبتها بالسماع من العرب))^(٢٣)، ومنها:

• الإلزام بالسَّماع لإثبات حكم:

تقوم هذه الاستراتيجية على الاحتكام إلى السَّماع بوصفه سلطة معرفية جماعية تمثل المشترك اللغوي عند العرب دون سواهم^(٢٤)، وهو ما يمنح الحكم اللغوي مشروعيته وقابليته للإذعان؛ لأنه لا يصدر عن اجتهاد فردي أو قياس عقلي مجرَّد، بل عن تداول لغوي مستقر، تشكَّل عبر الاستعمال المتواتر في المدونة العربية^(٢٥)، وقد اتخذ أبو حيان من السَّماع أداة إلزام حجاجي لإثبات الأحكام، فجعل منه مرجعاً أعلى في بناء موقفه التأويلي، لا

في المتن التفسيري فحسب، بل منذ المقدمة التي مهّد بها لخطابه، بما يكشف عن وعي استراتيجي بأهميته في تشكيل أفق التلقي، ولذلك يكثر في خطابه من العبارات التي تؤكد هذا المنحى، مثل قوله: ((فأنت ترى هذا السماع وكثرته))^(٢٦)، وقوله: ((إنما نقف فيه مع مورد السماع))^(٢٧)، ((وعلى هذا الذي قلناه جاء السماع عن العرب))^(٢٨)، وهي صيغ تقريرية لا تُخبر فحسب، بل تُلزم المخاطب بالحكم من خلال استدعاء سلطة لا يملك ردّها. ويُلاحظ أنّ أبا حيان لا يقدّم السماع على أنّه مجرد شاهد لغوي، بل يعامله بعدّه قيمة مشتركة ومرجعاً مُسلماً به داخل الجماعة العلميّة واللغويّة.

ذكر في سياق تفسيره لقوله تعالى: ((وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبْ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ)) (الحج: ١١) جواز وقوع الفعل الماضي حالاً بغير قد، قال: ((يجوز أن يكون في موضع الحال، ولا يحتاج إلى إضمار قد لأنّه كثر وقوع الماضي حالاً في لسان العرب بغير قد فساغ القياس عليه))^(٢٩).

وقال في موضع آخر: ((وقد أجاز الأخفش من البصريين وقوع الماضي حالاً بغير تقدير قد، وهو الصحيح، إذ كثر ذلك في لسان العرب كثرة توجب القياس، ويبعد فيها التأويل))^(٣٠)، فاستدل بالسماع وكثرته على إثبات دعوى القياس عليها، والكثرة قيمة في الحجاج، تزيد من درجة إذعان الجمهور وإقناعهم^(٣١).

اتخذ أبو حيان من السماع أساساً لكلّ حكم، إذ لا يقيس إلّا على ما كثر فيه السماع، وإذا اجتمع عنده السماع والقياس رجح السماع على القياس^(٣٢)؛ لأنّه عالم بالبنية الفكرية والقوانين اللغويّة لمن يخاطبهم أو يختلف معهم في الدائرة التفسيرية أو الرؤى النحويّة، ولذلك فإنّ أهم الاستراتيجيات التي تُتيح لأيّ متكلم تحقيق الإقناع وبلوغ المقاصد، أن يكون عالماً بالبنية الفكرية للذي يوجه إليه الخطاب، وهي خطوة مهمة في معرفة نوعيّة الوسائل التي سوف يضمنها فحوى الخطاب والتي ستحقق النتيجة المقصودة^(٣٣).

• الالتزام بعدم السماع لنفي حكم:

يُعدّ السماع عند أبي حيان الأصل الذي قامت عليه آراؤه اللغويّة والنحويّة، وأساس مقبوليّة آراء المذاهب وشخصياتهم، لا يأخذ برأي أو مذهب لأحد ما لم يكن مؤيداً بالسماع^(٣٤)، ففي مسألة جواز رفع الفاعل بعد المصدر المنون، قال: ((فهي مسألة خلاف، البصريون يجيزون ذلك فيقولون: عجبْتُ من ضرب زيدٍ عمراً. والفراء يقول: لا يجوز ذلك بل إذا نون المصدر لم يجئ بعده فاعل مرفوع، والصحيح مذهب الفراء، وليس للبصريين حجة على إثبات دعواهم من السماع بل أثبتوا ذلك بالقياس على أنّ والفعل، فمُنِع هذا التوجيه الذي ذكره ظاهر))^(٣٥). نفى أبو حيان دعوى البصريين مستدلاً بعدم السماع من العرب، وهي حجته في الرفض؛ لأنّهم استدلوا بالقياس، والقياس إذا عارض السماع غلب السماع عليه، وهو ما يضمن مقدّمة مذهبيّة مخفيّة هي عدم الأخذ بالرأي مع غياب النصّ في المسألة، وهو من أسس المذهب الظاهريّ الذي يعتنقه^(٣٦).

وفي تعدي الفعل: (استسقى) من سورة (البقرة: ٦٠)، إلى مفعولين عند بعض النحويين، قال: ((يحتاج إثبات تعديه إلى اثنين إلى شاهد من كلام العرب، كأن يُسمع من كلامهم ((استسقى زيدُ ربّه الماء))، وقد ثبت تعديه مرة إلى المستسقى منه، ومرة إلى المستسقى، فيحتاج تعديه إليهما إلى ثبت من لسان العرب))^(٣٧).
أما في اسمية: (كيف) من سورة (البقرة: ٢٨)، فقال: ((كيف) اسم، ودخول الجر عليها شاذ، وأكثر ما تستعمل استفهاماً والشرط بها قليل، والجزم بها غير مسموع من العرب، فلا نجيزه قياساً، خلافاً للكوفيين وقُطرب))^(٣٨)، وقال في تفسير قوله تعالى: ((وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ)) (البقرة: ١٨٨)، رادا على ابن عطية عندما نقل قولاً للكوفيين أن الظرف نصب (تدلوا): ((وَلَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ قَاطِعٌ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ عَلَى أَنَّ الظرف ينصب فتقول به))^(٣٩).

استدل أبو حيان على صحة دعواه ومقبوليتها، وردّ دعوى المخالف بانتفاء الدليل والحجة وهو السماع من كلام العرب، وهذا ليس استدلالاً بريئاً بل هو مقصود وهادف لغرض مبتغى ومراد؛ لأنّ أبا حيان ينطلق من القاعدة العامّة والمبدأ الأساس الذي وضعه بيرلمان للتأثير في المخاطب، وهو تكيف المتكلم مع مخاطبه، والوسيلة الرئيسة لتحقيق هذا التكيف هو أن لا يختار المتكلم نقطة انطلاق حجاجية، إلا من مقدمات مقبولة ومُسلم بها من قبل من يوجّه إليهم الخطاب^(٤٠)، فالاعتماد على السماع وجعله أساساً وواجهة في القبول والرفض لهذه الآراء ووجهات النظر، مقدمة مقبولة وحجة نافذة، ومُسلم بها عند من يخالفهم، أو يخاطبهم، أو العرب عامّة، واللغويين خاصّة، أو من يروم التأثير فيهم، بُنيت قواعد اللغة على أساسها، إذ لا يمكن ردّها أو الاعتراض عليها.

٢. استراتيجية التحصين الحجاجي بالتواتر النصّي:

يُعدّ القرآن الكريم وقرآته عماد الأدلة النقلية، وأعلى نصّ عربي فصيح، ورأس الشواهد النحوية، وقد اعتمد عليه اللغويون في الاستدلال على قواعدهم وأصولهم^(٤١)، وهي حجج استدلالية جاهزة، تكتسب قوتها ومقبوليتها من مصدرها، وقداستها، ومصادقة الناس عليها، وتواترها، وهي بتعبير طه عبد الرحمن ((الحجة العليا))^(٤٢)، ومن الحجج المؤسسة لبنية الواقع في الحجاج^(٤٣)، وقد اعتمدها أبو حيان في إثبات رأيه أو ردّ رأي الطرف المخالف.
قال في سياق تفسيره لقوله تعالى: ((كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ)) (الشعراء: ١٧٦)، قرأ الحرميان وابن عامر (ليكة)، وقرأ باقي السبعة الأيكة، بلام التعريف، وقد طعن المبرد، وابن قتيبة، والزجاج وأبو علي الفارسي، والنحاس، والزمخشري، بهذه القراءة، وهُموا القراء، قال أبو حيان: ((وهذه قراءة متواترة لا يمكن الطعن فيها ... وقال أبو عمرو: لم يكن بين القراءتين كبيرٌ يعني اختلافاً))^(٤٤).

وقال راداً على أبي العباس وأبي علي وأبي إسحاق عندما أنكروا قراءة أبي عمرو وقالون لقوله تعالى: ((إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ)) (البقرة: ٢٧١)، بإسكان عين (نعماً) قال: ((وَإِنْ تَبَدُّوا هُوَ لَ فِيهِ نَظْرٌ، لِأَنَّ أُمَّةَ الْقِرَاءَةِ لَمْ يَقْرَأُوا إِلَّا بِنَقْلِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَتَى تَطَرَّقَ إِلَيْهِمْ الْغَلَطُ فِيمَا نَقَلُوهُ مِنْ مِثْلِ هَذَا، تَطَرَّقَ إِلَيْهِمْ فِيمَا سِوَاهُ، وَالَّذِي نَخْتَارُهُ وَنَقُولُهُ: إِنْ نَقَلَ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعُ مُتَوَاتِرٌ لَا يُمَكِّنُ وَفُوعَ الْغَلَطِ فِيهِ))^(٤٥).

استدل أبو حيان بالقراءة وتواترها في إثبات دعواه، ونفاذها في المخاطبين، انطلاقاً من كفاءته التداولية؛ لأن هذه الحجة تستمد قوتها من السياق الخارجي المتمثل بالأنساق الثقافية والأيديولوجية للمخاطبين، بحكم قدسيتها ومقبوليتها عندهم، لذا هي غير قابلة للطعن والرد، وهذه الحجة عند بريتون من صنف الحجج التي تستدعي افتراضات ومعتقدات مشتركة مع المخاطب، وهي دعامات قوية في الممارسة الحجاجية، إذ تصنف في أعلى مراتب السلم الحجاجي^(٤٦)، وتوظيفها في الخطاب يُنبئ عن كفاية المتكلم التداولية، ويكمن توظيفها التوظيف المناسب لكي يتبوأ المتكلم بخطابه مكانة عليا، وهي داخل الأنساق المحافظة أو الأيديولوجية حجة سلطة غير قابلة للطعن^(٤٧).

٣. استراتيجيات التعزيز بالشرعية النبوية:

ثاني استراتيجيات النقل في الثقافة العربية الإسلامية بعد القرآن الكريم والقراءات القرآنية^(٤٨)، ومن الحجج التي يستدل بها المحاجج لإثبات دعواه بالنظر إلى طبيعتها المصدرية فهي ليست من إنتاج المتكلم بقدر ماهي منقولة على لسانه^(٤٩)، وهي حجة سلطة، يستشهد برأي أو سلوك شخصية تعد مرجعا أو سلطة في المجال لمنزلتها ولشهرتها^(٥٠)، وقد أفاد أبو حيان من هذه الاستراتيجية إفادة واسعة في تفسيره البحر المحيط، فجعل الحديث النبوي دعامة أساسية لتعزز حججه، سواء في تفسير الأخبار والقصص القرآنية، أو في توجيه الدلالة اللغوية للألفاظ، أو في ترجيح معنى على آخر عند تعدد الأقوال، فهو لا يكتفي بإيراد الرأي، بل يسنده بما يرفعه من دائرة الاحتمال إلى دائرة الإذعان، مستندا إلى سلطة النص النبوي بوصفه مفسرا للقرآن، ومبيئا لمجمل معانيه، ففي تفسير معنى كلمة (النار) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ (النساء: ١٠)، قال أبو حيان: (وظاهر قوله (ناراً) أنهم يأكلون ناراً حقيقية، وفي حديث أبي سعيد عن ليلة الإسراء، قال رسول الله ﷺ: رأيت قوماً لهم مشافر كمشافر الإبل، وقد وُكِّلَ بهم من يأخذ بمشافرهم، ثم يجعل في أفواههم حجراً من نارٍ يخرج من أسافلهم، ثم يُجعل في أفواههم صُحراً من نار، يخرج من أسافلهم، فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال: هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً. وبأكلهم النار حقيقة)^(٥١)، إذ لم يكتفِ بحمل اللفظ على المجاز أو التهويل، بل أسنده إلى حديث الإسراء المروي عن أبي سعيد الخدري، الذي يصرح بأكل النار حقيقةً جزاءً لآكلي أموال اليتامى ظلماً، وبهذا الاستدلال ينتصر أبو حيان للظاهر القرآني، ويقيم حجته على شاهد نبوي يقطع باب التأويل المخالف، ويلزم المخاطب بقبول هذا الفهم.

استعان أبو حيان بالحديث النبوي في تفسير الآيات القرآنية، واتخذ منه حجة ودليلاً على مصداقية دعواه، انطلاقاً من منبع هذا الدليل وهو المرجعية الثقافية للعربي، هذه المرجعية التي تعدّ الحديث من المسلمات التي يجب الأخذ بها وقبولها، بحكم سلطة قائلها، ومصداقيته، وقداسته، وفصاحته، وهي مراعاة للحال الثقافي للمخاطب وتعني أن يوظف المتكلم داخل خطابه المرجعيات الثقافية التي تحظى بالنفوذ والمصداقية في الحقل الثقافي الذي

ينتمي إليه المخاطب^(٥٢)، وهذه الشواهد ليست عادية بل هي حجج مؤثرة ومقنعة؛ لأنها تتبع من المرجعيات الثقافية للعربي، وهي مرجعيات تُعدّ من المسلّمات التي يُؤخذ بها.

وهذه الوفرة لهذه الحجج وتنوعها (يُكسب الخطاب حجّية عالية، ويضمن لبانيه إصابة ما عقد العزم عليه وتحصيل ما وجّه النوايا إليه وهو ما قضى بذلك وحثّمه)^(٥٣).

٤. استراتيجية الإقناع بالنموذج اللغوي المعياري:

يُعدّ الشعر الأصل الذي بُنيت عليه القواعد النحويّة، فالحجج لا تُؤخذ إلاّ منه، وهو مصدر أساس للنحو خاصة وللدراسات اللغويّة عامّة^(٥٤)، وهو ((حجة لإثبات الخبر أو لنفيه))^(٥٥)، وله قيمة خاصة في السياق المعرفي الخاص بالثقافة العربية، بعده آلية تفسيرية واستدلالية، إذ لا تكاد نجد في التراث العربي نتاجاً لا يستند إلى شاهد شعري، فالشاهد يكتسب قيمته الاستدلالية من خلال السياق التداولي الذي يرد فيه^(٥٦).

وكثيراً ما استدل أبو حيان بالشواهد الشعرية في تفسيره البحر المحيط حتى غدت السمة البارزة فيه، فكان لها الحضور الأوفر والحجة المستند إليها، ففي تعدي الفعل: (تسأموا) من سورة (البقرة: ٢٨٢)، يرى أبو حيان وفاقاً للخليل وسيبويه أنه يتعدى بحرف جر، قال أبو حيان: ((ومما يدل على أنّ سئم يتعدى بحرف جرّ قوله: وَلَقَدْ سَمِئْتُمْ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَسُؤَالِ هَذَا النَّاسِ كَيْفَ لَبِئْتُ^(٥٧))).^(٥٨)

وفي توسط خبر ليس بينها وبين اسمها في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٧)، منع ابن درستويه (ت٣٤٧هـ) جواز التوسط، وأجازه أبو حيان وهو مذهب الجمهور، قال: ((وقد ذهب إلى المنع من ذلك (ابن درستويه) تشبيها لها بما... وهو محجوج بهذه القراءة المتواترة، وبورود ذلك في كلام العرب قال الشاعر:

سَلِي إِنْ جَهَلْتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمْ وَلَيْسَ سَوَاءً عَالَمٌ وَجَهْلُونَ^(٥٩)

وقال آخر:

أَلَيْسَ عَظِيمًا أَنْ تُلَمَّ مُلِمَةٌ وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْخُطُوبِ مَعُولٌ^(٦٠))).^(٦١)

تتجلى هذه الاستراتيجية بأوضح صورها؛ إذ راكم أبو حيان الشواهد من القرآن، ومنثور كلام العرب، ومنظومه، ليحاصر رأي الجرمي بمنظومة أدلة متكاملة، يتصدّرها الشعر بوصفه الدليل الأشدّ إلزاماً؛ لأنه يُمثّل الواقع اللغوي الذي لا يمكن تعطيله بقياس أو رأي نظري، وهنا يتحوّل الشعر إلى سلطة لغوية تُسقط الرأي المخالف وتُقيم البديل المقبول.

وعلى هذا الأساس، فإنّ استراتيجية الإقناع بالنموذج اللغوي المعياري عند أبي حيان تقوم على جعل الشعر مرجعاً حاسماً في النزاع النحوي، وآلية لإنتاج القبول والاطمئنان لدى المخاطب؛ لأنّ الحجاج بما استقرّ في وجدان العربي من فصيح القول أبلغ أثراً، وأقوى نفاذاً، وأشدّ مقاومةً للتشكيك، وبذلك يندرج الشعر في خطاب البحر

المحيط ضمن حجج الوصل المؤسّسة على بنية الواقع اللغوي، ويغدو أداة مركزية في بناء الإقناع وترسيخ الأحكام، ولا سيّما في القضايا الخلافية التي تتطلب سنداً معيارياً لا يُدافع^(٦٢).

٥. استراتيجية التطبيع التداولي للقاعدة اللغوية:

وهي الاستراتيجية الثانية ممّا يُستدل به من كلام العرب بعد الشعر، ويكون مقالة أو قصة، أو كلاماً عادياً، ومنه ما يُمثّل قاعدة مطردة في الاستعمال، ومنه ما توقّف عند حد السّماع به^(٦٣)، وهو من الحجج البالغة في الممارسة الحجاجية بحكم مرجعيتها وهو العربي الفصيح^(٦٤).

استدل أبو حيان بالكلام العربي المنثور لإثبات أعمال (إن) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ (البقرة: ٧٤) مخففة، مخالفاً الكوفيين، قال: ((وإعمالها مخففة لا يجيزه الكوفيون، وهم محجوجون بالسّماع الثابت من العرب، وهو قولهم: إن عمرو لمنطقٌ بسكون النون))^(٦٥)، وقد استثمر أبو حيان هذا البعد التداولي في بناء حججه، حيث لم يواجه المذهب الكوفيّ بالقياس وحده، بل حسم الخلاف بالسّماع المنثور عن العرب: ((إن عمرو لمنطق))، ليحوّل القاعدة من موضع جدل نظري إلى حقيقة استعمالية ثابتة، ويجعل المخالف في موقع المصادم للمنطوق العربي المأثور، فهنا تُستثمر الاستراتيجية التداولية لإضفاء طابع الضرورة الواقعية على الحكم النحوي.

وفي تخطئة ابن مجاهد لقراءة فُنبِل بحذف الألف بعد الهمزة في قوله تعالى: ﴿أَنْ رَأَاهُ أَسْتَفْنَى﴾ (العلق: ٧) قال أبو حيان: ((ولا ينبغي أن يُغلّطه، بل يطلب له وجهها، وقد حُذفت الألف في غير من هذا، قال: وصانِي العَجَاج فيما وصَّنِي، يريد: وصاني، فحذف الألف، وهي لام الفعل، وقد حُذفت في مضارع (رأى) في قولهم: أصاب الناس جهدٌ ولو تر أهل مكة، وهو حذف لا ينقاس؛ لكن إذا صحت الرواية به وجب قبوله، والقراءات جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها))^(٦٦)، ويتجلّى هذا المنحى بوضوح في دفاعه عن قراءة فُنبِل، إذ رفض منطق التخطئة المعيارية الصارمة، ودعا إلى البحث عن الوجه اللغويّ ما دام له شاهد في كلام العرب، ولو كان غير قياسي، وهنا تُبرز الاستراتيجية التداولية بعدها الإقناعي؛ إذ تُعيد الاعتبار للواقع اللغوي كما نُقل عن العرب، وتقدّم السّماع على التقعيد، وتحوّل القراءة القرآنية إلى امتداد طبيعيّ للسان العربي بقياسه وشاذّه.

وعلى هذا الأساس، فإنّ استراتيجية التطبيع التداولي للقاعدة اللغوية عند أبي حيان تقوم على إعادة وصل القاعدة بسياقها الاستعمالي، وتحريرها من الانغلاق القياسي، وجعلها أكثر قبولاً في أذهان المخاطبين؛ لأنّ الحجاج بما جرى على ألسنة العرب الفصحاء أقرب إلى الإقناع، وأبعد عن التكلّف، وبهذا يغدو كلام العرب المنثور حجة وصل مؤسّسة على بنية الواقع التداولي، تُسهم في تثبيت القاعدة، وتدعيم الموقف، وبناء خطاب حجاجي قادر على الإلزام والتأثير^(٦٧).

٦. استراتيجية الإقناع بالحكمة الجماعية (المثل):

وهي أقوال مأثورة عن العرب، ومصدر من مصادر الاستدلال، وحجج جاهزة في الحجاج^(٦٨)، وأدلة توظف على صحة الدعوى بحكم مقبولية المصدر الذي تصدر عنه وهو العربي، وهي تتضمن مبادئ عميقة، وإبرادها في الخطاب والاستشهاد بها يكون لغايات إقناعية واستدلالية^(٦٩).

وقد استدلى أبو حيان بها في تفسير الآيات القرآنية مفردة أو مع غيرها من الحجج، ففي تعدي الفعل: (صدقوا) من سورة (الأحزاب: ٢٣)، قال: (تقول: صدقتُ زيداَ الحديث، وصدقْتُ زيداَ في الحديث. وقد عُدَّتْ صدقتُ هذه في ما يتعدى بحرف الجر، وأصله ذلك، ثم يُتَّسَعُ فيه فيُحذف الحرف ويصل الفعل إليه بنفسه، ومنه قولهم في المثل (صَدَّقَنِي سِنَّ بَكْرِهِ))^(٧٠)، ليثبت إمكان تعدي الفعل بنفسه بعد أن كان الأصل فيه التعدية بالحرف، وبذلك حوّل القاعدة من مسألة تعديّة إلى حقيقة تداولية مشهودة، يشهد لها المثل بوصفه نصّاً لغويّاً مكتفياً ومُجرباً.

وفي تخريج قراءة الحرمين وأبي عمرو وأبي بكر لقوله تعالى: ﴿ءَايَاتٍ مُّبَيَّنَاتٍ﴾ (النور: ٣٤)، ب(آياتٍ مُّبَيَّنَاتٍ)، قال أبو حيان: (فإمّا أن تكون متعدية أي: مُبَيَّنَاتٍ غيرها من الأحكام والحدود، فأسند ذلك إليها مجازاً، وإمّا أن تكون لا تتعدى أي: بينات في نفسها لا تحتاج إلى موضح بل هي واضحة لقولهم في المثل: قد بينَ الصبحُ لذي عينين. أي: قد ظهر ووضح)^(٧١)، ليثبت دلالة الوضوح الذاتي، ويُبرّر البناء الدلالي للقراءة من دون حاجة إلى تكلف تأويلي، جاعلاً من المثل قرينة حجاجية تُسند المعنى وتُنتبّه في ذهن المخاطب.

تكشف هذه الأمثال، في مجموعها، عن كونها قوالب حجاجية جاهزة، تُمَثّل نوعاً من الإجماع الضمني داخل الجماعة اللغوية، ولذلك فإنّ استدعاءها يمنح الخطاب قوّة إقناعية مضاعفة، ويكسب المتكلم مصداقية نابعة من اشتراكه مع مخاطبيه في المرجعية الثقافية ذاتها. فالمثل، بما يحمله من كثافة دلالية واختزال تعبيرية، يُسهّم في تقريب المعنى، وتذليل صعوبة تبني الرأي، وتهيئة المخاطب للتسليم بالنتيجة الحجاجية^(٧٢)، وعليه، فإنّ استراتيجية الإقناع بالحكمة الجماعية عند أبي حيان تقوم على استثمار الرصيد الثقافي المشترك، وتحويل الأمثال إلى أدوات تداولية فاعلة تُحدث التماثل بين المتكلم والمخاطب، وتُنشئ أرضية مشتركة ينطلق منها الاستدلال. وبذلك تغدو الأمثال - إلى جانب الشعر وكلام العرب - إجراءات سياقية ذات طابع إقناعي عالٍ، تسهم في ترسيخ الأطروحة، وتكثيف حضورها، وضمان نفاذها في وعي الجمهور^(٧٣).

٧. استراتيجية شرعنة الاختلاف اللهجي:

من أدلة اللغويين المعتمدة، وهي دليل من أدلة الكلام العربي المنثور^(٧٤)، وحجة على العلماء كما قال ابن جنّي: (اللغات على اختلافها حجة)^(٧٥)، وقد أفاد أبو حيان من هذه الاستراتيجية في مواضع عديدة من البحر المحيط، فجعل اللهجة أداة حجاجية فاعلة لتثبيت أطروحته، والدفاع عن القراءات، وردّ أحكام التخطئة والتغليب منه ما جاء في تخريج قراءة نافع بإثبات ألف (أنا) في قراءة قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا أَحْيَى وَأَمِيْتُ﴾ (البقرة: ٢٥٨)،

فقد قرأ نافع بإثباتها في الوصل والباقون بحذفها، قال أبو حيان: ((وإثبات الألف وصلًا ووقفًا لغة بني تميم، ولغة غيرهم حذفها في الوصل... والأحسن أن تُجعل قراءة نافع على لغة بني تميم، لأنه إجراء للوصل مجرى الوقف... وإذا حملنا ذلك على لغة تميم كان فصيحًا))^(٧٦)؛ لم يلجأ أبو حيان إلى التماس تأويل صرفي أو صوتي متكلف، بل أسس دفاعه على المشروعية اللهجية، إذ نسب الإثبات إلى لغة بني تميم، وجعل الحذف لغة غيرهم، ثم رجح قراءة نافع بحملها على تلك اللهجة، وعدّ ذلك من الفصيح الجاري على سنن العرب، وبهذا حوّل الخلاف من مستوى الخطأ والصواب إلى مستوى التنوع المشروع داخل العربية، هنا تتجلى استراتيجية شرعنة الاختلاف اللهجي بوصفها حاجزًا حجاجيًا أمام الإقصاء والتخطئة، ووسيلة لإعادة الاعتبار إلى القراءات بوصفها تجليات متعدّدة للسان العربي.

يتضح من هذا المسلك أنّ أبا حيان لا يوظف اللهجة بوصفها معلومة لغوية محايدة، بل يجعلها دليلًا إقناعيًا يُسوِّغ به موقفه، ويؤسس لرأي مخالف، ويعيد توجيه نظر المخاطب إلى أنّ معيار القبول ليس وحدة الاستعمال، بل ثبوته في كلام العرب. فالاستدلال باللهجات هنا مسلك حجاجي يتوسّل بالسلطة التداولية للغة، ويحوّل التعدّد إلى قيمة علمية داعمة للحجّة، لا إلى موضع طعن أو ضعف^(٧٧)، وبذلك تتكامل هذه الاستراتيجية مع غيرها من استراتيجيات أبي حيان في تفسيره، لتؤكد أنّ الحجاج اللغوي عنده لا يقوم على الإلزام القسري، بل على إقناع المخاطب بشرعية البدائل، وجعل الاختلاف نفسه مظهرًا من مظاهر سعة العربية وثرائها.

ثانياً: استراتيجية الاحتكام إلى السلطة المرجعية العقلية.

١. استراتيجية الإلزام المنطقي المشروط:

من الحجج العقلية المعتبرة والمقبولة القياس، وهو ((حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه))^(٧٨)، أو هو ((الجمع بين أولٍ وثانٍ يقتضي في صحة الأول صحة الثاني، وفي فساد الثاني فساد الأول))^(٧٩)، ومن أدلة النحو الأساسية، قال السيوطي: ((وهو معظم أدلة النحو والمعول في غالب مسائله عليه))^(٨٠)، وقد اعتمد أبو حيان على القياس في بعض استدلالاته، وبين أنّ القياس لا يكون إلّا على أدلة كثيرة وشواهد عدّة يمكن أن يقوم عليها، ومن موارد الاستدلال بالقياس ما يأتي:

• سلطة القياس لنفي حكم:

ومنه ما ورد في تخريج الزمخشريّ لقراءة عبد الوارث عن أبي عمرو برفعه (يعلم) في قراءة قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٢)، قال أبو حيان: ((قال الزمخشري: على أنّ الواو للحال كأنه قيل: ولما تجاهدوا وأنتم صابرون انتهى. ولا يصلح ما قال؛ لأنّ واو الحال لا تدخل على المضارع، لا يجوز جاء زيد ويضحك، وأنت تريد جاء زيد يضحك، لأنّ المضارع واقع موقع اسم الفاعل، فكما لا يجوز جاء زيد وضاحكاً، كذلك لا يجوز جاء زيد ويضحك))^(٨١)، فاستدل بالقياس على بطلان تخريج الزمخشري.

• سلطة القياس لإثبات حكم:

ومنه ما ورد في جواز العطف على الضمير المجرور من دون إعادة الجار في قوله تعالى: ﴿وَكُفِّرْ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ (البقرة: ٢١٧)، فقد اختار أبو حيان الجواز، واستدل بالقياس عليه بقوله: ﴿أَمَّا الْقِيَّاسُ فَهُوَ أَنَّهُ كَمَا يَجُوزُ أَنْ يُبَدَلَ مِنْهُ وَيُؤَكَّدَ مِنْ غَيْرِ إِعَادَةِ جَارٍ، كَذَلِكَ يَجُوزُ أَنْ يَعْطَفَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ إِعَادَةِ جَارٍ﴾^(٨٢).

وفي موضع آخر يرى ابن عطية جواز الاستثناء من الموجب فتكون ما في موضع رفع على البديل وتكون إلا عاطفة، استناداً إلى ما ورد في قول بعض الكوفيين في تفسير قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ (المائدة: ١)، قال أبو حيان: ﴿وهذا الذي حكاه عن بعض الكوفيين، من أنه في موضع رفع على البديل لا يصح البتة، لأنّ الذي قبله موجب، فكما لا يجوز: قام القوم إلا زيداً على البديل، فكذلك لا يجوز البديل في (إلا ما يتلى عليكم)... لأنّ البديل من الموجب لا يُجيزه أحدٌ علمناه، لا بصري ولا كوفي﴾^(٨٣)، فحجّة التمثيل والإجماع اللذان استدل بهما في ردّه على ابن عطية يضطلعان بدور رئيس في إنتاج تبريرات الأقوال^(٨٤).

وعلى الرغم من توظيفه القياس في مواضع متعدّدة، فإنّ حضور هذا الدليل في تفسير أبي حيان يظل محدوداً ومقيّداً؛ إذ لم يخرج عن قاعدته المنهجية الكبرى، وهي تقديم السماع عن العرب على القياس، وعدم التعويل عليه إلا عند الضرورة أو الاستئناس، لذلك كان يقف في وجه القياس إذا عارض الشاهد المسموع، ولو صدر عن كبار النحاة، مؤكداً أنّ القياس لا ينهض حجّة مستقلة ما لم تسنده شواهد معتبرة^(٨٥)، ويمثّل هذا الموقف رؤية معرفية ومذهبية واعية، تُدرج القياس ضمن استراتيجيات الإلزام العقلي المشروط، لا ضمن سلطة مطلقة؛ إذ يكشف الخطاب -تصريحاً أو تلميحاً- عن أنّ المواقف الحجاجية لا تُبنى على آليات عقلية مجردة، بل على تفاعل معقد بين الدليل العقلي، والشاهد اللغوي، وسياق الخطاب، وهو ما يمنح حجاج أبي حيان توازنه وقوته الإقناعية^(٨٦).

٢. استراتيجية الإلزام بسلطة المتقدمين والسلطة الجماعية:

تقوم استراتيجية الإلزام بسلطة المتقدمين والسلطة الجماعية (الإجماع) على توظيف الأسماء العلمية المعتبرة والمرجعيات التراثية بوصفها أدوات حجاجية ذات فاعلية عالية؛ إذ إنّ مجرد ذكر الشخصيات العلمية الكبرى، وما ارتبط بها من منجزات علمية، يُحدث أثراً حجاجياً بالغاً في المخاطب، لما يحمله الاسم العلمي من رصيد معرفي وقيمة رمزية متراكمة داخل الوعي الجمعي^(٨٧)، ولا يقتصر هذا الاحتكام على مضمون الأقوال المستشهد بها، بل يستهدف -في عمقه البلاغي- القيمة الحجاجية لصاحب القول ذاته، بوصفه سلطة معرفية موثوقة يُسَلَّم لها بالصواب أو يُرَجَّح قولها^(٨٨).

وتتعرّز فاعلية هذه الاستراتيجية حين تتكاثر الأصوات المؤيدة لرأي ما، إذ يُوهم هذا التضافر الجمعي بأنّ القضية المطروحة ترقى إلى مرتبة الحقيقة المطلقة، أو تكاد تبلغها، فيتحوّل الرأي الفردي إلى موقف جماعي ذي قوة إلزامية^(٨٩)، ومن هنا، يتجلّى الإجماع بوصفه سلطة حجاجية مركبة، لا تستمد قوتها من الدليل المفرد، بل من

اجتماع السلطات العلمية وتضافرها، وهو ما يُفضي إلى تضييق مجال الاعتراض، ودفع المخاطب إلى القبول والانقياد^(٩٠).

وتتحقق الفاعلية الحجاجية في هذه الاستراتيجية عبر آلية انتقال القيم النوعية من الشخصيات العلمية إلى أقوالها وأعمالها، أو بالعكس، بحيث يُكتسب القول قوته الإقناعية من مكانة قائله، كما تُعزّز مكانة القائل بانتشار قوله وتداوله^(٩١)؛ وبذلك، يغدو الاحتكام إلى سلطة المتقدمين، مقروناً بالسلطة الجماعية، استراتيجية بلاغية حجاجية تُمارس بقصد الإلزام والتوجيه، وتُسهم في ترسيخ الأحكام وتثبيت المواقف داخل الخطاب التفسيري، ولا سيّما في البحر المحيط، حيث يُستثمر هذا النمط من الحجاج لإضفاء المشروعية العلمية، وتعزيز القبول التداولي للأقوال المختارة، وقد استدل أبو حيان بالإجماع في إثبات دعواه ورد دعوى المخالف، وهو الزمخشري عندما أرب مقام إبراهيم في قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ (آل عمران: ٩٧)، عطف بيان لقوله آيات بينات، قال أبو حيان: (ورُدُّ عليه ذلك؛ لأنَّ آيات نكرة، ومقام إبراهيم معرفة، ولا يجوز التخالف في عطف البيان، وقوله مخالف لإجماع الكوفيين والبصريين، فلا يُلتفت إليه)^(٩٢).

وفي موضع آخر ردّ على الزمخشري بقوله: (وهذا الوجه الأخير لا يجوز، لأنهم أجمعوا على أن ضمير المتكلم وضمير المخاطب لا يجوز أن يوصف)^(٩٣)، وفي موضع آخر رد على بعض النحويين ممن يدعي اسمية على بقوله: (وَبَعْضُ النَّحْوِيِّينَ زَعَمَ أَنَّ عَلَى لَا تَكُونُ حَرْفًا ثَبَتَةً، وَأَنَّهَا اسْمٌ فِي كُلِّ مَوَارِدِهَا وَنُسِبَ إِلَى سَبِيئِيهِ، وَلَا يُمكنُ أَنْ يُدْعَى أَنْ إِلَى تَكُونُ اسْمًا لِإِجْمَاعِ النُّحَاةِ عَلَى حَرْفِيَّتِهَا كَمَا قُلْنَا)^(٩٤)، ويرى ابن مالك أن ما ومهما قد يردان ظرفي زمان ورد عليه أبو حيان بقوله: (وَكَفَاهُ رَدًّا نَقْلُهُ عَنْ جَمِيعِ النَّحْوِيِّينَ خِلَافَ مَا قَالَهُ لَكِنَّ مَنْ يُعَانِي عِلْمًا يَحْتَاجُ إِلَى مُثُولِهِ بَيْنَ يَدَيْ الشُّيُوخِ وَأَمَّا مَنْ فَسَّرَ مَهْمَا فِي الْآيَةِ بِأَنَّهَا ظَرْفٌ زَمَانٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ مُلْحَدٌ فِي آيَاتِ اللَّهِ)^(٩٥)، فأبو حيان في هذا النص لا يفسر الآية فقط، بل يُحاكم ابن مالك، لقد حول المسألة النحوية من (خلاف في تقدير الأدوات) إلى (خلاف في الأصول والمنهج)، مستعينا بـ(سلطة الإجماع) و(سلطة الشيوخ) و(لغة التهذيب) لتقويض رأي ابن مالك تماماً، بدأه برفض الرأي نقلياً (نقل الخلاف عن الجميع)، ثم صعد في السلم الحجاجي ليصل إلى الطعن في المنهج (عدم الجلوس للشيوخ)، ثم ختم بقمة السلم وهي (الوصم بالإلحاد في آيات الله)، وهذا التصعيد يهدف إلى إغلاق باب الحوار تماماً (إفحام الخصم).

وله نظائر عدّة استدلت بها أبو حيان بسلطة الإجماع وسلطة الشخص لرد دعوى أو لقبول دعوى، لما لهتين الحجتين من مقبولية وسلطة، لاعتراض جمهور السامعين بها، ولتأثيرها في مجال الدائرة النحوية خاصة. ومن هذه الاستراتيجيات الاستناد إلى الشخصيات التي تُثير الإعجاب وتتمتع بسلطة رمزية أو مهابة اجتماعية، انطلاقاً من كفاءتها العلمية أو المنزلة التي تحتلها داخل المجتمع، وتستمدّ هذه الحجّة قوتها الإقناعية من المكانة التي يحوزها الشخص المحتجّ به، بوصفه مثلاً يُحتذى ونموذجاً يُعتدى به، ووفقاً لما يذهب إليه جان جاك روبيريو، فإنّ فاعلية هذا النمط من الحجاج تعود إلى ميول كامنة في الطبيعة الإنسانية نحو الأشخاص والأفعال التي تُقدّم

بوصفها نماذج مرجعية للاقتداء، الأمر الذي يجعل الاحتكام إلى سلطة الأنموذج استراتيجية حجاجية قادرة على توجيه القبول وتعزيز الإذعان داخل الخطاب^(٩٦)، ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤)، آراء بعض المفسرين والمعربين لاستعمال (لن) ورد عليهم بقوله: (وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ، أَعْنِي التَّوَكُّيدَ وَالتَّأْيِيدَ وَنَفْيَ مَا قَرَّبَ: أَقَاوِيلُ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَإِنَّمَا الْمَرْجُوعُ فِي مَعَانِي هَذِهِ الْحُرُوفِ وَتَصَرُّفَاتِهَا لِأَنَّمَا الْعَرَبِيَّةُ الْمَقَانِعِ الَّذِينَ يُرْجَعُ إِلَى أَقَاوِيلِهِمْ. قَالَ سَيَبَوِيهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَنْ نَفِي لِقَوْلِهِ: سَيَفْعَلُ، وَقَالَ: وَتَكُونُ لَا نَفْيًا لِقَوْلِهِ: تَفْعَلُ، وَلَمْ تَفْعَلْ، انْتَهَى كَلَامُهُ. وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: تَفْعَلُ، وَلَمْ تَفْعَلِ الْمُسْتَقْبَلُ، فَهَذَا نَصٌّ مِنْهُ أَنَّهَا يُنْفِيَانِ الْمُسْتَقْبَلُ)^(٩٧)، يُوظف أبو حيان استراتيجية الإلزام بسلطة المتقدمين توظيفاً صريحاً، حين يرفض آراء المتأخرين في دلالة (لن) على التوكيد أو التأييد أو نفي القريب، ويُسقط قيمتها الحجاجية بوسمها بـ(أقاويل المتأخرين)، وفي مقابل ذلك، يُحيل المرجعية التفسيرية إلى إمام العربية المعاصر، بوصفه السلطة المعرفية التي يُرجع إليها في معاني الحروف وتصرفاتها، ويتحقق الإلزام الحجاجي هنا عبر نقل القيم النوعية من الشخصيات العلمية إلى أقوالها، حين يستشهد بنص سيبيويه، فيجعله حُجَّةً فاصلة في تحديد دلالة (لن) بوصفها نفيًا للمستقبل، لا أكثر. وبهذا، لا يُناقش الرأي من حيث محتواه فحسب، بل من حيث مرجعيته التاريخية والعلمية، فيتحوّل قول سيبيويه إلى معيار حجاجي ملزم، وتُهمَّش أقوال المتأخرين لافتقارها إلى سلطة التقدّم والسبق.

ورد على أبي إسحاق عندما غلط قراءة أبي عمرو وأبي بكر وحمزة والأعمش عندما قرأوا بالسكون (يُؤدِّه) في قوله تعالى: ﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤدِّه إِلَيْكَ﴾ (آل عمران: ٧٥)، قال: (لَوْ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو إِسْحَاقَ مِنْ أَنَّ الْإِسْكَانَ غَلَطٌ لَيْسَ بِشَيْءٍ، إِذْ هِيَ قِرَاءَةٌ فِي السَّبْعَةِ، وَهِيَ مُتَوَاتِرَةٌ، وَكَفَى أَنَّهَا مَنْقُولَةٌ مِنْ إِمَامِ الْبَصْرِيِّينَ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ. فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ صَرِيحٌ، وَسَامِعٌ لُغَةً، وَإِمَامٌ فِي النَّحْوِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَذْهَبَ عَنْهُ جَوَازٌ مِثْلَ هَذَا. وَقَدْ أَجَارَ ذَلِكَ الْفَرَاءَ وَهُوَ إِمَامٌ فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ)^(٩٨)، في هذا النص يُفعل أبو حيان استراتيجية الإلزام بسلطة المتقدمين بأقصى طاقتها الحجاجية، فهو يُسقط دعوى الغلط لا عبر التنقيد اللغوي المجرد، بل عبر الاحتكام إلى سلطة القارئ، بوصفه أعلى درجات السلطة الجماعية في الثقافة الإسلامية، ويعزز هذا الاحتكام بذكر أسماء قراء كبار، في مقدمتهم أبو عمرو بن العلاء، الذي يجمع بين كونه إماماً في القراءة، وعربياً صريحاً، وإماماً في النحو، وهو توصيف مقصود يُراكم السلطات المعرفية في شخص واحد، كما يدعم هذا الإلزام بإيراد موافقة الفراء، لئِنشئ تضافراً سلطوياً بين أعلام البصرة والكوفة، فيتحوّل الرأي إلى موقف علمي جامع، ويُغلق باب الاعتراض عليه، وهنا يتجلى بوضوح أنّ الحجاج لا يُبنى على صواب القراءة فحسب، بل على مكانة من نقلها وأجمع عليها.

٣. استراتيجية الإلزام بالتناسق النصي:

تقوم استراتيجية الإلزام بالتناسق النصي على اعتبار السياق عنصراً حاسماً في فهم المعنى، وتوجيه الدلالة، ولا سيما في تفسير القرآن الكريم؛ إذ إنّ النصّ القرآني بنية متكاملة مترابطة، يفسر بعضه بعضاً، ولا يُفهم على

وجهه إلا في ضوء انتظامه الداخلي وتماسكه الدلالي. ومن ثمّ، يغدو السياق -بمفهومه العام- أداة إلزام حجاجية، يُحتكم إليها في ترجيح المعاني وإقصاء التأويلات التي تُخلّ بانسجام النصّ وتتأسفه^(٩٩).

ويتخذ السياق في هذه الاستراتيجية بُعدين متكاملين: سياقاً لغوياً يُعنى بتوجيه المعنى من داخل النص عبر علاقات الألفاظ والتراكيب، وسياقاً مقامياً يتصل بالظروف والملابسات الخارجية المحيطة بالنص. وقد أولى بيرلمان لعناصر السياق أهمية مركزية في بناء نظريته الحجاجية؛ إذ لا يكتفي بالأساليب اللغوية وحدها، بل يجعل من الظروف الخارجية ومقتضيات المقام عناصر فاعلة في إنتاج الإقناع^(١٠٠)، وهو ما ينسجم مع مبدأ التناسق النصّي بوصفه شرطاً تداولياً وحجاجياً في آن واحد. ويُستثمر الشاهد القرآني، في هذا الإطار، بوصفه أعلى درجات الإلزام النصّي؛ لما يتمتع به من قداسة ومكانة مرجعية تفرض نفسها على الخطاب الواصف، وتجعل الاحتكام إليه حتمياً في تقويم الاستعمال اللغوي وترجيح دلالاته، فالنصّ القرآني لا يُستشهد به لمجرد الإثبات، بل بوصفه سلطة نصيّة تُلزم المعنى بأن ينسجم مع سياقه العام والخاص^(١٠١)، وقد تجلّى وعي أبي حيان العميق بأهمية السياق اللغوي وفاعليته الحاسمة في العملية التفسيرية من خلال توظيفه الإلزام بالتناسق النصّي في ترجيح المعاني وإثبات وجهة نظره، يتجلّى توظيف أبي حيان لاستراتيجية الإلزام بالتناسق النصّي من خلال اعتماده السياق الداخلي للآيات القرآنية بوصفه سلطة حجاجية مُلزِمة في ترجيح المعنى ودفع الاعتراض. ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (إبراهيم: ٣٨)، قال أبو حيان: «والظاهر أنّ قوله (وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) من كلام إبراهيم لاكتشاف ما قبله وما بعده بكلام إبراهيم»^(١٠٢)، إذ استند إلى إحاطة الكلام السابق واللاحق بقول إبراهيم عليه السلام، ليستدل بالسياق التركيبي والموضوعي على أن الجملة من تمام كلام إبراهيم، لا استثناءً إلهياً، وهو استدلال يقوم على انسجام الخطاب واتساقه، ويُقضي التأويل المخالف لعدم توافقه مع السياق.

وكذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٩٧) قال أبو حيان: «والذي يدل عليه سياق ما قبل هذا الأمر وما بعده، أن يكون الأمر بالتزود هنا بالنسبة إلى تحصيل الأعمال الصالحة التي تكون له كالزاد إلى سفره للأخرة، ألا ترى أنّ قبله (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) ومعناه الحث والتحريض على فعل الخير الذي يترتب عليه الجزاء في الآخرة؟ وبعده (فإنّ خير الزاد التقوى) والتقوى في عرف الشرع والقرآن عبارة عن ما يُتَّقَى به النار»^(١٠٣)، حيث ألزم أبو حيان المعنى الأخروي للتزود، معتمداً على سياق الآيات التي تحيط بالأمر، من حيث على فعل الخير وبيان الجزاء الأخروي، فجعل السياق دليلاً داخلياً يُحدّد المقصود من الأمر، ويمنع صرفه إلى الزاد الحسي وحده.

وهكذا يكون السياق الداخلي دليل حجة في الادعاء أو الاعتراض عند أبي حيان، يستدل به في بيان المراد من قوله تعالى؛ لأنّ الاستدلال قبل كلّ شيء هو وسيلة إثبات، لإثبات صدق قضية أو لإقناع غيرنا بقضية

مرادة^(١٠٤)، وأن حسن استحضار السياق هنا من أبي حيان وتوظيفه بصورة مثلى، وحسن استغلال إمكاناته منح ممارسته الحجاجية (قوة ذات تأثير دامغ)^(١٠٥).

٤. استراتيجية الإلزام البرهاني:

تتجلى استراتيجية الإلزام البرهاني في تفسير أبي حيان من خلال اعتماده الاستدلال العقلي والمنطقي بوصفه أداة حجاجية ملزمة، تقوم على بناء مقدمات عقلية متناسقة تُقضي إلى نتائج ضرورية لا يسوغ ردها^(١٠٦)، فالاستدلال المنطقي عنده لا يُوظف على سبيل التزيين التفسيري، بل بوصفه مساراً برهانياً يُقنع المخاطب ويلزمه بقبول النتيجة؛ لابتائها على ما يقتضيه العقل السليم وانسجام القصة القرآنية مع ذاتها، وهو دليل ذو مقبولية وإقناع؛ لأنه يستند إلى العقل والمنطق، ويبرز هذا النمط من الإلزام البرهاني بوضوح في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ (الكهف: ١٨)، قال أبو حيان: (لوغلبة الرعب لما ألقى الله عليهم من الهيبة والجلال ... وقيل سبب الرعب طول شعورهم وأظافرهم وصفرة وجوههم ...، وقيل: لإظلام المكان وإيحاشه، وليس هذان القولان بشيء، لأنهم لو كانوا بتلك الصفة أنكروا أحوالهم ولم يقولوا (لبثنا يوماً أو بعض يوم)، ولأن الذي بُعث إلى المدينة لم يُنكر إلا العالم والبناء لا حاله في نفسه، ولأنهم في حالة حسنة بحيث لا يُفرق الرأي بينهم وبين الإيقاظ)^(١٠٧)؛ إذ ناقش أبو حيان الأقوال التي عللت الرعب بتغير هيئات أصحاب الكهف أو إيحاش المكان، ثم أبطلها ببرهان عقلي يقوم على نفي التناقض الداخلي في القصة، فقد بنى استدلاله على مقدمات عقلية واضحة مفادها أن تغير الهيئات تغيراً فادحاً يناقض قولهم: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، كما يناقض حال مبعوثهم إلى المدينة الذي لم يُنكر في نفسه، وإنما أنكر في سكتة وبنائه، فضلاً عن أن ظاهر حالهم كان حال النائمين لا حال الموتى المشوهين.

فقد استدل بالعقل والمنطق وبما تقتضيه القصة من صورة تمنع التناقض أو الاختلاف؛ لأن المتكلم قد يستعمل مقدماته العقلية في أطروحته سعياً منه لبناء جسور التواصل المقنع بينه وبين المخاطب^(١٠٨)، هذه المقدمات البرهانية العقلية، وظفها أبو حيان في استدلاله على معنى الآية وهي:

المقدمة الكبرى: المكان الذي يدخله الضوء والرياح لا يكون مخيفاً.

المقدمة الصغرى: كهفهم كان يتخلله الضوء والرياح.

النتيجة: كهفهم ليس مخيفاً.

والمقدمة الكبرى: من يلبث يوماً أو بعضه لا يتغير شكله ولا ملابسه.

المقدمة الصغرى: أهل الكهف لبثوا يوماً أو بعضه.

النتيجة: لا يمكن أن تتغير أشكالهم.

إن استدلال أبي حيان هذا يقدم لازماً معيناً له ملزوم معين يُفهم عقلاً ومنطقاً، يُقصد به مطالبة المخاطب بالتصديق به وقبول رأيه استناداً إلى العقل والمنطق.

٥. استراتيجية بناء الضرورة السببية:

تقوم استراتيجية بناء الضرورة السببية في خطاب أبي حيان على إظهار العلاقة الحتمية بين السبب والنتيجة، بحيث يُفرض السبب بالضرورة إلى حكم لا يمكن العدول عنه^(١٠٩)، وهي حجة تعليلية من حجج الوصل المؤسسة على بنية الواقع، ننقل بوساطتها من السبب إلى النتيجة، وهي من أنواع الاستدلال العقلي، وأبرز الاستدلالات الحجاجية، وأقدها على التأثير في المخاطب^(١١٠)، بحيث يرى دارسو الحجاج أنّ الحجة السببية من أهم الحجج القادرة على اقناع المخاطب والتأثير فيه، فنجدها في ((جمل الخطابات المتجهة غايتها صوب الإقناع، وتتضاعف وتشتد في الخطابات التي يرمي أصحابها إلى البرهنة العقلية الصارمة على حقائق اعتقدوا فيها وأطاريح دانو بها))^(١١١)؛ فالعلة السببية متجذرة في الخطاب الإقناعي؛ لأنّ (البحث عن الأسباب ضالة الحجاج)^(١١٢)، وأهمية هذه الاستراتيجية الحجاجية، التي تسلط الضوء على علاقة الأسباب بالنتائج وتثمنها عبر ممارسات استدلالية تختلف أشكالها من علم إلى آخر^(١١٣)، وقد استدل أبو حيان بهذه الحجة في مواضع منها استدلاله على عدم وقوع ((إلا)) بمعنى الواو في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ (النمل: ١٠)، فقد قدّم علتين مانعتين لهذا التفسير، قال: ((وقالت فرقة: ((إلا)) بمعنى الواو والتقدير ولا من أظلم وهذا ليس بشيء، لأنّ معنى إلا مباين لمعنى الواو مباينة كثيرة، إذ الواو للإدخال و((إلا)) للإخراج، فلا يمكن وقوع أحدهما موقع الآخر))^(١١٤)، وفي موضع آخر قال: ((لم يثبت من لسان العرب وضع إلا موضع الواو))^(١١٥)، إذ لم يكتف برفض هذا القول رفضاً إنشائياً، بل أقامه على علل سببية مانعة، تُنتج بالضرورة بطلان هذا التفسير، فقد جعل العلة الأولى علة دلالية قائمة على اختلاف الوظيفة والمعنى؛ إذ قرر أنّ الواو أداة إدخال وجمع، في حين أنّ ((إلا)) أداة إخراج واستثناء، وهذا التباين الجوهرى في الدلالة هو سبب كافٍ يمنع إحلال إحداها محل الأخرى، فالنتيجة - وهي بطلان القول بجعل ((إلا)) بمعنى الواو - ضرورة سببية مترتبة على هذا الاختلاف الدلالي، لا مجرد رأي محتمل.

ثم عزز أبو حيان هذه الضرورة بعلة سببية ثانية ذات طابع لساني تاريخي، تتمثل في عدم السماع من كلام العرب لوضع ((إلا)) موضع الواو، إذ قرر قاعدة سببية مفادها أنّ الحكم اللغوي لا يثبت إلا بالسماع أو القياس الصحيح، وانتفاء السماع سبب كافٍ لانتفاء الحكم، وبهذا ينتقل الاستدلال من سببين متكاملين - اختلاف المعنى، وانتفاء السماع - إلى نتيجة واحدة لازمة، هي استحالة صحة هذا التأويل.

فاستدل في الأول بعلة الاختلاف وسبب التباين من حيث المعنى، ليكون العلة المانعة، والعلة الثانية عدم السماع عن العرب، وبهذا الاستدلال هدم أدلة المخالف وأقام أدلته، وهذا هو عمل المحاجّ، فهو حين يحاجج أو يستدل ((إنّما يهدم ثوابت ويُقيم أخرى، يدعمها بالبرهان، حتى يُحدث العوض ويحصل البديل))^(١١٦).

٦. استراتيجية الإلزام بالتناظر النصي:

تقوم استراتيجية الإلزام بالتناظر النصي على الاستدلال بالنظير، أي تفسير النص القرآني بنص قرآني آخر، وهو من أقوى الأساليب الحجاجية وأشدّها إلزاماً؛ لأنّه يجعل النص شاهداً على نفسه، ويُخضع المعنى لمعيارية الخطاب الإلهي ذاته، من دون وساطة خارجية، وقد عدّ العلماء هذا المسلك أصحّ طرق التفسير وأقواها في إزالة الإبهام وتكثيف الإقناع^(١١٧)؛ لأنّ ما أجمله في مكان قد فسره في مكان آخر، وما اختصره في مكان فقد بسّطه في موضع آخر، وليس أحد أعلم بكلام الله تعالى من الله (عزوجل)^(١١٨)، وقد عدّه العلماء وجهاً من وجوه الاستدلال عند حدوث التنازع والاختلاف؛ وذلك بأن يكون أحد الدليلين موافقاً لظاهر القرآن فيقدم، لأجل موافقته لآية أو آيات من كتاب الله؛ لأنّ القول الذي تؤديه آيات قرآنية مقدّم على ما عُدم ذلك^(١١٩)، ولعل أهم استعمالات الشاهد القرآني هي تلك التي يتم استحضارها بغية شرح نص قرآني آخر؛ ذلك لأنّ سلطة النص القرآني تضمن للمؤلف أحقية التفسير وينزع عن كاهله مسؤولية القول، كما أنّ للخطاب القرآني قداسته التي لا تقبل سلطة عليه من غير الخطاب ذاته؛ وذلك من خلال الرجوع إلى آيات أخرى تؤكد المعنى أو تفسره^(١٢٠).

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتُحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ (الأعراف: ٤٠)، قال أبو حيان: (قال ابن عباس: (لا تُفْتَحُ لأعمالهم ولا لدعائهم ولا لما يريدون به طاعة الله تعالى)، أي: لا يصعد لهم صالح فتفتح أبواب السماء له وهذا منتزع من قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠)، ومن قوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ (المطففين: ١٨) (١٢١).

فاستدل بالآيات القرآنية في تفسير الآيات القرآنية الأخرى؛ لأنها شواهد معروفة ومقبولة في بيئتها لدى المجموعة اللغوية المراد إقناعها والتأثير فيها.

هذه الحجج والأدلة القارّة المتفق عليها من قرآن وقراءاته، وحديث نبوي، وشعر، وأمثال وعقل، وسياق، ولغات وغيرها، تعبّر عن استيعاب أبي حيان لعناصر السياق الخارجي الممثل بالمنظومة المعرفية والثقافية، وأطر الدلالات السائدة فيها، مع منهجية واعية في تعبئة هذه الشواهد وسوقها في مواضعها؛ لأنّ الاستدلال لا ينطلق من فراغ بل من معارف سابقة، أهمها المبادئ المشتركة، أو المسلّمات المقبولة التي تحظى بمقبولية وتسليم الجميع^(١٢٢).

الخاتمة:

نتوج استراتيجيات الحجاج البلاغي في "البحر المحيط" بنظام استدلاي مزدوج، زواج فيه أبو حيان بين الاستراتيجيات النقلية والاستراتيجيات العقلية، ليصنع نسيجاً برهانياً يغلق منافذ الاعتراض.

ففي المسار النقلية، برزت استراتيجية الإلزام كأداة سيادية اعتمدت على "السماع" بوصفه الحجة القاطعة؛ حيث وظف القراءات القرآنية والحديث النبوي ليس فقط كشواهد تفسيرية، بل كضرورات لغوية ملزمة للخصوم، معضداً ذلك بمخزون هائل من الشعر العربي واللهجات والأمثال. وقد شكل هذا "الحشد النقلية" قوة ضاغطة

استهدفت إفحام المخالفين عبر إثبات أن اختياراته المنهجية هي الوحيدة المتسقة مع "واقع الاستعمال العربي"، مما حول النقل من مجرد توثيق إلى "سلطة إفحام" ترغم الخصم على الإذعان.

أما في المسار العقلي، فقد انتقل أبو حيان إلى القياس البرهاني واستدعاء النظرير القرآني كأدوات لضبط المعنى وتقنين الاحتمال. فلم يكن "القياس" عنده مجرد إلحاق فرع بأصل، بل كان حجاجاً عقلياً يهدف إلى كشف "التناسب" وإثبات "الاطراد" في لغة التنزيل. كما استثمر استراتيجيات الإجماع (النحوي أو اللغوي) ليضفي صبغة الجماعية على آرائه، مستعملاً "النظرير القرآني" كأداة للحجاج الداخلي (القرآن يفسر بعضه بعضاً)، وهو ما سمح له بممارسة "الاستدلال التقابلي" الذي يربط بين المتشابهات لإبطال التفسيرات المتكلفة.

إنّ هذا التكامل بين النقل (بوصفه مادة الحجاج) والعقل (بوصفه آلة النظم والاستنباط) جعل من البحر المحيط قلعة حجاجية حصينة؛ حيث يلجأ أبو حيان إلى النقل ليثبت أصالة قوله، وإلى القياس والبرهان العقلي ليثبت منطقية اختياره، مما أنتج خطاباً تفسيرياً يجمع بين سطوة النص ودقة الاستدلال، ويؤكد ريادة أبي حيان كأحد كبار مهندسي الحجاج البلاغي في التراث العربي.

نتائج البحث:

١. أثبت التحليل أنّ أبا حيان لم يكتفِ بالشاهد كدليل، بل حوّل السَّماع إلى (سلطة سيادية مطلقة). هو لا يقول إنّ هذا الوجه "أحسن"، بل يقول إنّه الواقع الوحيد الممكن لسائياً، مما يجعل مخالفة الزمخشري تبدو وكأنّها خروج عن الفطرة اللغوية لا مجرد خلاف علمي.
٢. توصل البحث إلى أنّ السياق عند أبي حيان هو (سياق مانع للحلول)؛ فهو يستقصي كل المؤشرات (المقامية والمقالية) ليحصر النص في دلالة أحادية، محوِّلاً البلاغة من "فضاء للتأويل" إلى "أداة لغلق التأويل" أمام المعتزلة.
٣. كشفت الدراسة أنّ استدعاء النظرير القرآني والقياس عليه لم يكن لبيان التشابه، بل لفرض (قانون الاطراد)، فأبو حيان يستعمل القياس ليثبت أنّ اللغة نظام مغلق ومحكم، وأنّ خروج الخصم عن هذا النظام هو إحداد علمي وتفكيك لبنية اللسان العربي.
٤. تبدى من البحث أنّ حجاج أبي حيان استهدف (المتكلم لا القول فقط)؛ فعندما يصف رأي الزمخشري بالتكلف أو العجمة، فإنّه يمارس حجاجاً تداولياً يسقط مرجعية الخصم الأخلاقية والعلمية، مما يجعل أي حجة يقدمها الخصم لاحقاً ساقطة بالتبعية.
٥. نجح البحث في إثبات أنّ (البحر المحيط) يمثل قمة التوازن بين الاستدلال الاستنباطي (القياس) والاستدلال الاستقرائي (حشد الشواهد)، مما خلق حصانة استدلالية جعلت من الصعب نقض آرائه من دون نقض أسس اللغة العربية بأكملها.

الهوامش

- (١) يُنظر: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: ٤٩٨، والحجاج والبرهان، رشيد الراضي ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ١ / ١٨٤.
- (٢) الحجاج في الخطاب الحجاج وقضاياها من خلال مؤلف روث أموسي الحجاج في الخطاب ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ٥٦٥/٢.
- (٣) يُنظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٦٥، والتحليل الحجاجي للخطاب القرآني ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب: ٢٨، وآليات الحجاج وأدواته ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ١ / ٧٧.
- (٤) يُنظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري: ٧٠.
- (٥) يُنظر: الحجاج وتوجيه الخطاب في خطب ابن نباتة: ١٥٨، والحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: ٩٠ والعلم والبناء الحجاجي ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ١ / ١٩٨.
- (٦) مفهوم الحجاج عند بيرلمان ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ٢ / ٢٢٣.
- (٧) يُنظر: الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه: ١٨١.
- (٨) الحجاج التصورات والتقنيات، د. مؤيد آل صوينت: ٢٣.
- (٩) يُنظر: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: ٤٤.
- (١٠) آليات الاستدلال الحجاجي في اللسانيات، حافظ اسماعيلي ومحمد الملاح، مجلة الخطاب، ع: ١٨: ٥٣.
- (١١) يُنظر: البلاغة والحجاج، بحث في تداولية الخطاب: ٢٢.
- (١٢) يُنظر: الاستدلال التداولي الحجاجي وآليات اشتغاله: ٩٢، وآليات الاستدلال الحجاجي في منهاج البلاغ: ١٨٧.
- (١٣) الاستدلال التداولي الحجاجي وآليات اشتغاله: ٧٢-٧٣.
- (١٤) يُنظر: اللسان والميزان: ١٣١، والحجاج والمواطنة: ٢٩.
- (١٥) يُنظر: التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي: ١٢٣، وآليات الاستدلال الحجاجي في منهاج البلاغ وسراج الأدباء: ١٨٦.
- (١٦) ينظر: حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية: ٢٩٨.
- (١٧) يُنظر: في أدلة النحو: ١٥.
- (١٨) ينظر: الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم، أيمن أبو مصطفى: ٧٧.
- (١٩) يُنظر: آليات الحجاج وأدواته ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ١ / ١٣٢.
- (٢٠) يُنظر: التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي: ١٢٣، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري: ٤٠.
- (٢١) الإغراب في جدل الإعراب: ٤٥، ولمع الأدلة: ٨٠-٨١.
- (٢٢) الاقتراح: ١٥٢.
- (٢٣) التذييل والتكميل في شرح التسهيل: ١٠ / ٦٥.
- (٢٤) يُنظر: الحجاج في الشعر العربي: ٢٩٤.
- (٢٥) يُنظر: الإمبراطورية الخطابية: ١٠١.
- (٢٦) البحر المحيط: ٢ / ٣٨٨.
- (٢٧) البحر المحيط: ٥ / ٤٢٨.

- (٢٨) المصدر نفسه: ٨ / ٨٣.
- (٢٩) البحر المحيط: ٧ / ٤٨٩.
- (٣٠) البحر المحيط: ٩ / ٣٠٠.
- (٣١) يُنظر: في نظرية الحجاج، عبد الله صولة: ٢٦-٢٧.
- (٣٢) يُنظر: أبو حيان النحوي: ٦١٤.
- (٣٣) يُنظر: استراتيجيات المغالطة في التراث العربي: ٦٢.
- (٣٤) يُنظر: أبو حيان النحوي: ٤١٤.
- (٣٥) البحر المحيط: ٢ / ٧٣.
- (٣٦) يُنظر: أبو حيان النحوي: ٣٨.
- (٣٧) البحر المحيط: ١ / ٣٦٦.
- (٣٨) المصدر نفسه: ١ / ١٩٣.
- (٣٩) البحر المحيط: ٢ / ٢٢٥.
- (٤٠) يُنظر: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، الحسين بنو هاشم: ٤١.
- (٤١) يُنظر: في أدلة النحو: ٣٠، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري: ٤٠.
- (٤٢) يُنظر: اللسان والميزان: ٢٣٣، وفي بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية: ٩٠.
- (٤٣) يُنظر: في نظرية الحجاج: ٨٣.
- (٤٤) البحر المحيط: ٨ / ١٨٦.
- (٤٥) البحر المحيط: ٢ / ٦٩٠.
- (٤٦) يُنظر: الحجاج في التواصل: ٦١، وآليات الحجاج وأدواته ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ١ / ١٢٦.
- (٤٧) يُنظر: الحجاج في الخطاب السياسي المغربي الراهن ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب: ٣٧٥.
- (٤٨) يُنظر: في أدلة النحو: ٧٢.
- (٤٩) يُنظر: آليات الحجاج وأدواته ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ٢ / ٥١٧.
- (٥٠) ينظر: الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم: ٩٥.
- (٥١) البحر المحيط: ٣ / ٥٣١.
- (٥٢) يُنظر: دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ١ / ٢٤٣.
- (٥٣) الحجاج والحقيقة وأفاق التأويل: ٣١٢.
- (٥٤) يُنظر: في أدلة النحو: ٨٦، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري: ٤٥.
- (٥٥) الشاهد الشعري في تفسير القرآن: ٩٠.
- (٥٦) يُنظر: البلاغة والحجاج، رضوان الرقبي: ٢٨.
- (٥٧) ديوان لبيد بن ربيعة: ٣٢.
- (٥٨) البحر المحيط: ٢ / ٧٣٦.
- (٥٩) البيت للسموأل، يُنظر: ديوانه: ٧٧.
- (٦٠) ينسب البيت لعروة بن الورد، يُنظر: ديوانه: ١٢٨.

- (٦١) البحر المحيط: ١٣١ / ٢.
- (٦٢) يُنظر: العلم والبناء الحجاجي ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ٢٢٦ / ١.
- (٦٣) يُنظر: في أدلة النحو: ١٢٣.
- (٦٤) يُنظر: التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي: ١٢٣.
- (٦٥) البحر المحيط: ٤٢٦ / ١.
- (٦٦) البحر المحيط: ٥٠٨ / ١٠.
- (٦٧) يُنظر: نظرية الحجاج عند بيرلمان: ٤٩-٥٠.
- (٦٨) يُنظر: القياس في اللغة العربية نشأته وتطوره: ١٢٩، وفي بلاغة الخطاب الإقناعي: ٩٠.
- (٦٩) يُنظر: الخطاب والحجاج: ٨٤.
- (٧٠) البحر المحيط: ٣٧٨ / ٣.
- (٧١) المصدر نفسه: ٤٢ / ٨.
- (٧٢) يُنظر: آليات الحجاج وأدواته ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ١٣٠ / ١، والحجاج في البلاغة المعاصرة: ١١٧.
- (٧٣) يُنظر: استراتيجية توظيف الاجراء الحجاجي في كتابة النص المسرحي ضمن كتاب الحجاج بين النظرية والتطبيق: ١٧٧.
- (٧٤) يُنظر: في أدلة النحو: ١٢٣.
- (٧٥) الخصائص: ١٢ / ٢.
- (٧٦) البحر المحيط: ٦٢٨ / ٢.
- (٧٧) الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله: ٧٢.
- (٧٨) الإعراب في جمل الإعراب: ٤٥.
- (٧٩) الحدود في علم النحو، الرمانى: ٢.
- (٨٠) الاقتراح: ١٧٥.
- (٨١) البحر المحيط: ٣٦٠ / ٣، ويُنظر: الكشّاف: ٤٢١ / ١.
- (٨٢) البحر المحيط: ٣٨٨ / ٢.
- (٨٣) المصدر نفسه: ١٥٩ / ٤.
- (٨٤) يُنظر: الحجاج، بلانتان: ٨٣.
- (٨٥) أبو حيان النحوي: ٤٠٩-٤١٤.
- (٨٦) أدوار الاقتضاء وأعراضه الحجاجية في بناء الخطاب ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ١٤٠ / ١.
- (٨٧) ينظر: حجاجية الشروح البلاغية: ٢٧٠-٢٧١.
- (٨٨) حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية: ٢٩٤.
- (٨٩) يُنظر: المصنف في الحجاج: ٤٦٦، والحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: ١٥٨.
- (٩٠) يُنظر: التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي: ١٢٣، والحجاج في كتاب (الردّ على النحاة لابن مضاء القرطبي): ٣٤.
- (٩١) يُنظر: في أدلة النحو: ٢١٣-٢٢٢، والخصائص: ١٨٥ / ١.
- (٩٢) البحر المحيط: ٢٧٢ / ٣.
- (٩٣) البحر المحيط: ٤٠٤ / ٤.

- (٩٤) البحر المحيط: ٢٥٤/٧
- (٩٥) البحر المحيط: ١٤٩/٤
- (٩٦) ينظر: حجاجية الشروح البلاغية: ٣٦٧
- (٩٧) البحر المحيط: ١٧٤/١ والكتاب: ٢٢٢/٤
- (٩٨) البحر المحيط: ٢٢١/٣.
- (٩٩) يُنظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٦٩.
- (١٠٠) يُنظر: الخطاب الحجاجي، أنواعه وخصائصه: ٥٢.
- (١٠١) ينظر: حجاجية الشروح البلاغية: ٣٥٣
- (١٠٢) البحر المحيط: ٤٢٢ / ٥
- (١٠٣) البحر المحيط: ٢٩٠ / ٢
- (١٠٤) الاستدلال، بلانشي: ٦١.
- (١٠٥) مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ٢ / ٥٢١.
- (١٠٦) يُنظر: التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي: ١٢٣.
- (١٠٧) البحر المحيط: ١٥٤ / ٧
- (١٠٨) يُنظر: مفهوم الحجاج وتطوره في البلاغة المعاصرة ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ٢ / ٥٢٠.
- (١٠٩) يُنظر: التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي: ٢٤، وفي أدلة النحو: ١٥٩.
- (١١٠) يُنظر: في نظرية الحجاج: ٤٩، والخطاب الحجاجي في مؤلفات علماء الإعجاز: ١٤٢.
- (١١١) الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: ٣١٥.
- (١١٢) الحجاج في الفلسفة وتدريسها ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ١ / ٦٩١.
- (١١٣) ينظر: حجاجية الشروح البلاغية: ٢٠٦
- (١١٤) البحر المحيط: ٢١٤ / ٨
- (١١٥) المصدر نفسه: ٨٠ / ٦
- (١١٦) الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: ٣١٥
- (١١٧) ينظر: حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية: ٣٥٥
- (١١٨) يُنظر: البرهان، الزركشي: ٢ / ١٧٥.
- (١١٩) يُنظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ١ / ٣١٢، والبحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي: ٦ / ١٧٥.
- (١٢٠) ينظر: حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية: ٣٥٥
- (١٢١) البحر المحيط: ٥١ / ٥
- (١٢٢) يُنظر: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله: ٨٧.

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب المطبوعة

- أبو مصطفى، أيمن، الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ٢٠١٦م.
- أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٨٦م.
- الأنباري، كمال الدين، في أدلة النحو، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١م.
- الأنباري، كمال الدين، لمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١م.
- الأندلسي (أبو حيان)، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: عادل عبد الموجد وعلي معوض، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.
- الأندلسي (أبو حيان)، محمد بن يوسف، التذييل والتكميل في شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: حسن هنداي، دار القلم، دمشق، ١٤١٨هـ.
- برانشي، روبرت، الاستدلال، ترجمة: محمود يعقوبي، دار الكتاب العربي، الجزائر، ٢٠٠١م.
- بروتون، فيليب، الحجاج في التواصل، ترجمة: محمد طالع وسعد الطالع، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٣م.
- برينكر، التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية)، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- بنو هاشم، الحسين، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٤م.
- بيرلمان، شايم، الإمبراطورية الخطابية (صناعة الخطابة والحجاج)، ترجمة: الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٥م.
- الجويني، مصطفى الصاوي، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.
- الحديثي، خديجة، أبو حيان النحوي، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٦م.
- خطابي، محمد، الاقتضاء وانسجام الخطاب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١١م.
- الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه)، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ٢٠٠٨م.
- الرقبي، رضوان، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ٢٠١٢م.
- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- السعدي، عبد القادر عبد الرحمن، الشاهد الشعري في تفسير القرآن، دار اليازوري، عمان، ٢٠٠٨م.
- سموأل بن عادياء، ديوان سموأل، تحقيق: عيسى مكي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

- السيوطي، جلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٦م.
- شارودو ومنغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري وحماد صمود، دار سيناترا، تونس، ٢٠٠٨م.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لسانية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.
- صولة، عبد الله، في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات)، مسكيلاني للنشر، تونس، ٢٠١١م.
- عادل، عبد اللطيف، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، منشورات ضفاف، الرباط-المغرب، ٢٠١٦م.
- العامري، نبيل بن ربيعة، ديوان نبيل بن ربيعة، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.
- عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.
- عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨م.
- عبيد، حاتم، الحجاج وتوجيه الخطاب في خطب ابن نباتة، دار تبر الزمان، تونس، ٢٠٠٩م.
- العبسي، عروة بن الورد، ديوان عروة بن الورد، شرح: ابن السكيت، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.
- العزاوي، أبو بكر (إشراف)، المصنف في الحجاج، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠١٧م.
- علوي، حافظ إسماعيلي (تنسيق)، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، دار نيبور، العراق، ٢٠١٥م.
- العمري، محمد، البلاغة والحجاج (بحث في تداولية الخطاب)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٩م.
- العمري، محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.
- عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ط٥، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.
- كولاي، لوي (إشراف)، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: عز الدين المجذوب، دار سيناترا، تونس، ٢٠١٠م.
- مشبال، محمد، الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة بيرلمان)، دار كنوز المعرفة، الأردن، ٢٠١٥م.
- الموصللي (ابن جني)، عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط٢، دار الهدى، بيروت.
- نظيف، محمد، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٨م.
- النقاري، حمو، استراتيجية المغالطة في التراث العربي، منشورات ضفاف، الدار البيضاء، ٢٠١٣م.

ثانياً: الرسائل الجامعية:

- التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي: محمد عبد العزيز علي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠١١م.
- حافظ إسماعيلي علوي، أدوات الحجاج، بحث ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته)، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ٢٠١٠م.
- رشيد الراضي، الحجاج والبرهان، بحث ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته)، إشراف حافظ علوي، الأردن، ٢٠١٠م.
- محمد خطابي، أدوار الاقتضاء وأغراضه الحجاجية في بناء الخطاب، بحث ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٠م.

I. Printed Books

- **Abu Mustafa, Ayman.** *Argumentation and its Rhetorical Means in Ancient Arabic Prose*. 1st ed., Arab Knowledge Bureau, Cairo, 2016.
- **Armengaud, Françoise.** *Pragmatic Approach (La pragmatique)*. Translated by Said Alloush, 1st ed., National Development Center, Beirut, 1986.
- **Al-Anbari, Kamal al-Din.** *Evidence in Grammar (Fi Adillat al-Nahw)*. Edited by Said al-Afghani, 2nd ed., Dar al-Fikr, Beirut, 1971.
- **Al-Anbari, Kamal al-Din.** *Luma' al-Adilla in the Principles of Grammar*. Edited by Said al-Afghani, 2nd ed., Dar al-Fikr, Beirut, 1971.
- **Al-Andalusi (Abu Hayyan), Muhammad ibn Yusuf.** *Al-Bahr al-Muhit in Interpretation (Tafsir)*. Edited by Adil Abd al-Mawjud and Ali Muawwad, 3rd ed., Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 2010.
- **Al-Andalusi (Abu Hayyan), Muhammad ibn Yusuf.** *Al-Tadhyil wa al-Takmil in Explaining Tashil al-Fawa'id*. Edited by Hassan Hindawi, 1st ed., Dar al-Qalam, Damascus, 1418 AH.
- **Blanché, Robert.** *Reasoning (L'argumentation)*. Translated by Mahmoud Yaacoubi, Dar al-Kitab al-Arabi, Algeria, 2001.
- **Breton, Philippe.** *Argumentation in Communication (L'argumentation dans la communication)*. Translated by Mohamed Taleb and Saad Taleb, 1st ed., Dar al-Kitab al-Jadid al-Muttahida, Beirut, 2013.
- **Brinker, Klaus.** *Linguistic Text Analysis (Linguistische Textanalyse)*. Translated by Said Hassan Buhairi, 1st ed., Al-Mukhtar Institution, Cairo, 2005.
- **Bennou Hachem, El-Houssine.** *The Theory of Argumentation according to Chaïm Perelman*. 1st ed., Dar al-Kitab al-Jadid al-Muttahida, Beirut, 2014.
- **Perelman, Chaïm.** *The Realm of Rhetoric (L'Empire rhétorique)*. Translated by El-Houssine Bennou Hachem, 1st ed., Dar al-Kitab al-Jadid al-Muttahida, Beirut, 2005.

- **Al-Juwayni**, Mustafa al-Sawi. *Grammatical and Linguistic Studies of Al-Zamakhshari*. 2nd ed., Dar al-Maaref, Cairo, 1984.
- **Al-Hadithi**, Khadija. *Abu Hayyan al-Nahwi*. 1st ed., Al-Nahda Library, Baghdad, 1966.
- **Khattabi**, Mohamed. *Implicature and Discourse Coherence*. 1st ed., Al-Ikhtilaf Publications, Algeria, 2011.
- **Al-Deridi**, Samia. *Argumentation in Arabic Poetry: Structure and Methods*. 1st ed., Alam al-Kutub al-Hadith, Irbid-Jordan, 2008.
- **Al-Ruqbi**, Ridwan. *Pragmatic Argumentative Reasoning and its Mechanisms*. 1st ed., Alam al-Kutub al-Hadith, Irbid-Jordan, 2012.
- **Al-Zamakhshari**, Mahmud ibn Omar. *Al-Kashshaf (The Revealer of Truths of Revelation)*. 3rd ed., Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, 1407 AH.
- **Al-Saadi**, Abd al-Qadir Abd al-Rahman. *Poetic Evidence in Quranic Interpretation*. Dar al-Yazouri, Amman, 2008.
- **Al-Samaw'al ibn Adiya**. *Diwan al-Samaw'al*. Edited by Issa Makki, Dar Sader, Beirut, 1995.
- **Sibawayh**, Amr ibn Uthman. *Al-Kitab*. Edited by Abd al-Salam Harun, 3rd ed., Al-Khanji Library, Cairo, 1988.
- **Al-Suyuti**, Jalal al-Din. *Al-Iqtirah in the Science of the Principles of Grammar*. Edited by Ahmed Muhammad Qasim, 1st ed., Al-Saada Press, Cairo, 1976.
- **Charaudeau**, P., & **Maingueneau**, D. *Dictionary of Discourse Analysis (Dictionnaire d'analyse du discours)*. Translated by Abd al-Qadir al-Mehairi and Hammad Sammoud, Sinatra House, Tunis, 2008.
- **Al-Shehri**, Abd al-Hadi bin Zafir. *Discourse Strategies (A Pragmatic Linguistic Approach)*. 1st ed., Dar al-Kitab al-Jadid al-Muttahida, Beirut, 2004.
- **Soula**, Abdallah. *On the Theory of Argumentation (Studies and Applications)*. 1st ed., Miskiliani Publishing, Tunis, 2011.
- **Adel**, Abd al-Latif. *The Argumentivity of Rhetorical Commentaries and their Pragmatic Dimensions*. 1st ed., Difaf Publications, Rabat-Morocco, 2016.
- **Al-Amiri**, Labid ibn Rabia. *Diwan Labid ibn Rabia*. Dar Sader, Beirut, 1966.
- **Abderrahmane**, Taha. *On the Principles of Dialogue and the Renewal of Scholastic Theology (Ilm al-Kalam)*. 2nd ed., Arab Cultural Center, Casablanca, 2000.
- **Abderrahmane**, Taha. *The Tongue and the Balance or Intellectual Proliferation*. 1st ed., Arab Cultural Center, Casablanca, 1998.
- **Obaid**, Hatem. *Argumentation and Discourse Orientation in Ibn Nubata's Sermons*. 1st ed., Tabar al-Zaman House, Tunis, 2009.
- **Al-Absi**, Urwa ibn al-Ward. *Diwan Urwa ibn al-Ward*. Explained by Ibn al-Sikkit, 1st ed., Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, 1994.
- **Al-Azzawi**, Abu Bakr (Ed.). *Al-Musannaf in Argumentation*. 1st ed., Kunuz al-Ma'rifa, Amman, 2017.

- **Alawi**, Hafid Ismaili (Coord.). *Argumentation, Truth, and Horizons of Interpretation*. 1st ed., Nibour House, Iraq, 2015.
 - **Al-Omari**, Mohammed. *Rhetoric and Argumentation (A Study in Discourse Pragmatics)*. Afrique Orient, Casablanca, 1999.
 - **Al-Omari**, Mohammed. *In the Rhetoric of Persuasive Discourse*. 1st ed., Afrique Orient, Casablanca, 1986.
 - **Omar**, Ahmed Mukhtar. *Semantics (Ilm al-Dilala)*. 5th ed., Alam al-Kutub, Cairo, 1998.
 - **Al-Qartajanni**, Hazem. *Minhaj al-Bulagha wa Siraj al-Udaba*. Edited by Mohamed al-Habib ibn al-Khoja, 3rd ed., Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1986.
 - **Moeschler**, J., & **Reboul**, A. *Encyclopedic Dictionary of Pragmatics (Dictionnaire encyclopédique de pragmatique)*. Translated by Ezzedine El-Mejdoub, Sinatra House, Tunis, 2010.
 - **Mishbal**, Mohamed. *Argumentation in Modern Rhetoric (A Study in Perelman's Rhetoric)*. 1st ed., Kunuz al-Ma'rifa, Jordan, 2015.
 - **Al-Mawsili (Ibn Jinni)**, Uthman. *Al-Khasa'is*. Edited by Muhammad Ali al-Najjar, 2nd ed., Dar al-Huda, Beirut.
 - **Nazif**, Mohamed. *Dialogue and Characteristics of Communicative Interaction*. Afrique Orient, Casablanca, 1998.
 - **Al-Naqari**, Hammo. *The Strategy of Fallacy in Arabic Heritage*. 1st ed., Difaf Publications, Casablanca, 2013.
- II. University Theses**
- **Mohamed Abdel Aziz Ali**, *Pragmatic Analysis of Grammatical Argumentative Discourse*, PhD Dissertation, Faculty of Dar al-Ulum, Cairo University, 2011.
- III. Published Research (Book Chapters)**
- **Hafid Ismaili Alaoui**, "Argumentation Tools," in *Argumentation: Concepts and Domains*, 1st ed., 'Alam al-Kutub al-Hadith, Irbid-Jordan, 2010.
 - **Mohamed Khattabi**, "Roles of Presupposition and its Argumentative Purposes in Discourse Construction," in *Argumentation: Concepts and Domains*, 'Alam al-Kutub al-Hadith, Jordan, 2010.
 - **Rashid al-Radi**, "Argumentation and Demonstration," in *Argumentation: Concepts and Domains*, ed. Hafid Alaoui, Jordan, 2010.